الإسراء والمعراج

تأليف

ابن حجر العسقلاني ، السيوطي

جمع وتحقيق

محمد عبد الحكيم القاضي

دار الحديث
القاهرة

الإسراء والمعراج

تأليف

ابن حجر العسقلاني ، السيوطي

جمع وتحقيق

محمد عبد الحكيم القاضي

دار الحديث
القاهرة

١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م

رقم الإيداع : ٨٩١١ / ١٩٨٩

دار الحديث

طبع * نشر * توزيع

١٤٠ ش القائد أمام جامعة الأزهر ـ تليفون: ٥٩١٩٦٩٧ / ٥٩١٨٧١٩ / ٥١١٢٠٣٦ـ فاكس: ٥٩١٩٦٩٧

الفصل الثانى

في حقيقته

اختلف فى المعراج والإسراء؛ هل كانا فى ليلة واحدة أم لا، وأيهما كان قبل الآخر، وهل كان فى اليقظَة أو المنام، أو بعضه فى اليقظة وبعضه فى المنام، وهل كان مرة أو مرتين أو مرات: فذهب الجمهور من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين إلى أنهما وقعا في ليلة واحدة فى اليقظة وتواردت عليه ظَواهر الأخبار الصحيحة وقوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾(٦٤).

لأن التسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، ولو كان منامًا لم يكن فيه كبير شىء، ولما بادرت قريش إلى إنكاره، ولا ارتد جماعة من ضعفاء من أسلم، ولأن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، ولو كان منامًا لم يقل بعبده بل بروح عبده، وليس فى العقل ما يحيل ذلك أيضًا، ولأنه حمل على البراق والروح لا تحمل، وإنما يحمل البدن.

ويؤيده ما أخرجه أبو نعيم فى الدلائل، من حديث محمد بن كعب القرظى، فى شأن أبى سفيان مع هرقل قال(٦٥): وأبو سفيان يجهد أن يحقر أمره ويصغر عنده قال: حتى ذكرت قوله ليلة أسرى به فقلت: أيها الملك ألا أخبرك خبرا تعرف أنه قد كذب؟ قال: وما هو؟ قلت: يزعم أنه خرج من أرضنا أرض الحرم فجاء هذا مسجد إيليا ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح. وبَطريق إيليا عن رأس قيصر فقال بطريق إيليا: قد علمت تلك الليلة. فنظر قيصر قال: مَا علمك بها؟ قال: إنى كنت لا أنام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد، فلما كان تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبنى فاستعنت عليه عمالى ومن يحضرنى كلهم، فعالجته فغلبنى فلم نستطيع أن نحركه كأنما نزاول به جبلا، فدعوت إليه النجاجرة(٦٦)، فنظروا إليه

---

(٦٤) أول سورة الإسراء.

(٦٥) البخارى: كتاب بدء الوحى.

(٦٦) النجاجرة: جمع نجار.

فقالوا : إن هذا باب سقط عليه البنيان ولا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى ، فرجعت وتركت البابين مفتوحين ، فلما عدوت عليها فإذا الحجر الذى من زاوية المسجد مثقوب ، وإذا فيه أثر ربط الدابة ، فقلت لأصحابى : ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبى ، وقد صلى الليلة فى مسجدنا[٦٦ب] وذهب جماعة إلى أن الإسراء كان بروحه فى المنام ، فقد كان معاوية يقول إذا سئل عن الإسراء : كانت رؤيا من الله صادقة . وقالت عائشة : ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإنما أسرى بروحه . رواهما ابن إسحاق فى السيرة[٦٧] . ولقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾[٦٨] .

والرؤيا إنما تطلق على ما كان منامًا ، والظاهر فى بعض الأحاديث السابقة من قوله : « بينا أنا نائم » ، وفى بعض الطرق « فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام » . وأجيب عن الآية بأن قوله : ﴿ فتنة للناس ﴾ يريد أنها رؤيا عين ، إذ ليس فى الحلم فتنة ، ولا يكذب به أحد . وقيل : إن الآية نزلت فى غير قصة الإسراء وعن قوله : « بينا أنا نائم » . بأن أول مجىء الملك إليه وهو نائم . فأيقظه ، لأ أنه استمر نائمًا . وأما قوله : « فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام » . فالمراد به الإفاقة البشرية من الغمرة الملكية ، على أن الحديث الذى ورد فيه ذكر النوم موهن فإنَّ العلماء اتفقوا على أن شريكًا راويه اضطرب فيه وساء حفظه ، وزاد ونقص ، وقدم وأخر وأما قول عائشة : ما فقدت جسده ، فعائشة لم تكن حينئذ زوجة ، بل لعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف فى الإسراء متى كان ، فإنها كانت فى الهجرة بنت ثمانية أعوام ، وسيأتى تاريخ الإسراء بأقواله ، فإذا لم تشاهد ذلك دل على أنها حدثت به عن غيرها ، فلم يرجح خبرها ، مع قول أم هانىء بخلافه ، على أن عائشة أنكرت أن يكون صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأى ربه ، فدل على أن الإسراء كان يقظة ، إذ لو كان مناما لم تنكره .

(٦٦ب) الخصائص الكبرى للسيوطى (١/ ٤٢٣ - ٤٢٥) .
وانظر ابن كثير (٥/ ٣٩) .
ومحمد بن كعب : تابعى كبير . لكنه ليس صحابيًا ، فحديثه مرسل .

(٦٧) سيرة ابن هشام (٢/ ٥) .

(٦٨) سورة الإسراء آية : ٦٠ .

هذا ؟ قال : هذا عيسى . ثم مررت بإبراهيم فقال : مرحبًا بالنبى الصالح والابن الصالح . قلت : من هذا ؟ : قال : هذا إبراهيم عليه السلام » .

قال ابن شهاب : فأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصارى كانا يقولان : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام » .

قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ففرض الله على أمتى خمسين صلاة . فرجعت بذلك حتى مررت على موسى ، فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة . قال : فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك . فراجعنى ، فوضع شطرها . فرجعت إلى موسى . قلت : وضع شطرها . فقال : راجع ربك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك . فراجعت ، فوضع شطرها فرجعت إليه فقال : ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك . فراجعته فقال : هى خمس وهى خمسون ، لا يبدل القول لدى . فرجعت إلى موسى فقال : راجع ربك . فقلت : استحييت من ربى ، ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدرى ما هى ، ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » .

٨ - وعن شريك بن عبد الله أنه قال : سمعت ابن مالك يقول : ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من مسجد الكعبة ، أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام . فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم . فقال أحدهم : خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة . فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى ، فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم . فلم يكلموه ، حتى احتملوه ، فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل ، فشق ما بين نحره إلى لبته ، حتى فرغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم بيده ، حتى أنقى جوفه ، ثم أتى بطست من ذهب ، فيه نور من ذهب ، محشواً إيمانًا وحكمة ، فحشا به صدره ولغاديده - يعنى عروق حلقه - ثم أطبقه ، ثم عرج به إلى السماء الدنيا .

فضرب بابًا من أبوابها ، فناداه أهل السماء : من هذا ؟ فقال : جبريل . قالوا :

ومن معك ؟ قال : معى محمد . قال : وقد بعث ؟ قال : نعم . قالوا : فمرحبًا به وأهلاً ، فيستبشر به أهل السماء ، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به فى الأرض حتى يعلمهم . فوجد فى السماء الدنيا آدم ، فقال له جبريل : هذا أبوك ، فسلم عليه ، فسلم عليه ، ورد عليه آدم وقال : مرحبًا وأهلاً بابنى ، نعم الابن أنت . فإذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يطردان . فقال : ما هذان النهران يا جبريل ؟ قال : هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به فى السماء ، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب يده ، فإذا هو مسك أذفر . قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك ثم عرج إلى السماء الثانية ، فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى . من هذا ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قالوا مرحبًا به وأهلاً .

ثم عرج به إلى السماء الثالثة ، وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ، ثم عرج به إلى الرابعة ، فقالوا له مثل ذلك . ثم عرج به إلى السماء الخامسة ، فقالوا له مثل ذلك . ثم عرج به إلى السماء السادسة ، فقالوا له مثل ذلك . ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك . كل سماء فيها أنبياء قد سماهم ، فوعيت منهم : إدريس فى الثانية وهارون فى الرابعة وآخر فى الخامسة لم أحفظ اسمه ، وإبراهيم فى السادسة ، وموسى فى السابعة بفضل كلامه لله . فقال موسى : رب لم أظن أن ترفع علىّ أحدًا .

ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله فيما أوحى : خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة . ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى ، فقال : يا محمد ، ماذا عهد إليك ربك ؟ قال : عهد إلىّ خمسين صلاة كل يوم وليلة . قال : إن أمتك لا تستطيع ذلك ، فارجع ، فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى جبريل ، وكأنه يستشيره فى ذلك ، فأشار إليه جبريل : أن نعم إن شئت فعلاً به إلى الجبار ، فقال وهو مكانه : يارب ، خفف عنا ، فإن أمتى لا تستطيع هذا ، فوضع عنه عشر صلوات ، ثم رجع إلى موسى ، فاحتبسه ، فلم يزل يردده موسى إلى ربه ، حتى صارت إلى خمس صلوات .

ثم احتبسه موسى عند الخمس، فقال: يا محمد، والله لقد راودت بنى إسرائيل قومى على أدنى من هذا فضعفوا، فتركوه، فأمتك أضعف أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعًا، فارجع فليخفف عنك ربك. كل ذلك يلتفت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل. فرفعه عند الخامسة، فقال: يا رب إن أمتى، ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم، فخفف عنا. فقال الجبار: يا محمد. قال: لبيك وسعديك. قال: إنه لا يبدل القول لدى. كما فرضت عليك فى أم الكتاب. قال: فكل حسنة بعشر أمثالها، فهى خمسون فى أم الكتاب، وهى خمس عليك. فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفف عنا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها. قال موسى: قد والله راودت بنى إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضًا. قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: يا موسى، قد والله استحييت من ربى مما اختلفتُ إليه. قال: فاهبط باسم الله. قال: واستيقظ وهو فى المسجد الحرام.

* زيادات ليست عند البخارى:

قال الحافظ رحمه الله:

(وقع من الزيادات فى قصة المعراج) عند مسلم من طريق همام عن قتادة عن أنس رفعه: «بينا أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، وإذا طينه مسك أذفر. فقال جبريل: هذا الكوثر» وله من طريق شيبان عن قتادة عن أنس: لما عرج بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم.. فذكر نحوه.

وعند أبى حاتم وابن عائذ من طريق يزيد بن أبى مالك عن أنس: «ثم انطلق حتى انتهى بى إلى الشجرة، فغشينى من كل سحابة فيها من كل لون، فتأخر جبريل، وخررت ساجدًا» وفى حديث ابن مسعود عند مسلم: (وأعطى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته المقحمات)، يعنى الكبائر. وفى هذه الرواية من الزيادة: «ثم انجلت عنى السحابة وأخذ بيدى جبريل، فانصرفت سريعًا، فأتيت على إبراهيم، فلم يقل شيئًا ثم أتيت على موسى فقال: ما صنعت؟ ...» الحديث.

وفيه أيضًا: «فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مالى لم آت